العثمانية[1].

٦ – الدولة السعودية:

بعدما أتم الله الحكم للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود – رحمه الله – وبعدما وحد الدولة وأقام حدود الله وشرعه على العباد، ومن أول ما أهتم به هو القضاء والاهتمام بالحرمين الشريفين والأوقاف وكان ذلك حين أصدر مرسوما ملكيا كريما في ١٣٥٤/١٢/٢٧هـ يربط إدارات الأوقاف وفروعها بمدير عام مقره مكة المكرمة. وتلي ذلك تنظيمات كثيرة كلها ترمي إلى الإصلاح من وضع الأوقاف في البلاد حتى تتم الفائدة المنشودة [2].

ما تقدم أمثلة موجزة عن تطور الوقف عبر العصور الإسلامية منذ العهد النبوي المبارك وإلى العهد السعودي الميمون. وفيما يلي عرض لأثر الوقف على متطلبات حياة المسلمين.

ثالثا: الوقف وتنمية الحياة الاجتماعية في المجتمع المسلم:

لقد أسهم الوقف في المجتمعات الإسلامية في إنماء كثير من أمور حياتهم الاجتماعية والدينية والتعليمية.

فقد أنشئت بأموال الواقفين مدارس ومعاهد متنوعة مجانية بل وتعطي مخصصات ومساعدات لأسر المتعلمين فيها وخصوصا تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الشريعة والعلوم المساندة وإقامة المستشفيات التي تعالج المرضى لوجه الله.

كما عني الواقفون بوقف الكتب للمكتبات العامة، والمكتبات المدرسية، وفي أروقة المساجد، التي أسهمت بحظ وافر في نشر العلم وبث المعرفة المنبثقة من الكتاب والسنة والعلوم الشرعية الأخرى بين مختلف طبقات أفراد الأمة كبارا وصغارا وذكورا وإناثا وافدين ومقيمين. واتسعت المجالات وتعددت حتى شملت المجالات التالية:-

---

(١) يكن: مصدر سابق. ١٣٨٨هـ، ١٨٥.

(٢) المنيف: دور أئمة آل سعود في وقف المخطوطات. محرم ١٤٢٠هـ ١٠-١١.

١ – المجال الديني:

ويتمثل ذلك جليا في إنشاء المساجد وتوسعتها وإضاءتها وفرشها والقائمين على نظافتها حتى أن هناك وقفا اسمه وقف الكناسين للمسجد النبوي الشريف ناظره اليوم الشيخ عبدالفتاح بن أسعد حجار.

والمساجد في الإسلام لها تاريخ عريق ومشرق وغيرهما من المساجد من عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده ثم الدولة الأموية والعباسية والعثمانية حتى اليوم نرى الاهتمام بالحرم المكي والحرم المدني في عهد الدولة السعودية وما التوسعة الرائعة الأخيرة للحرمين إلا دليل على اهتمام أولياء أمور المسلمين ببيوت الله في أرضه وخلقه.

ولو تتبعنا التاريخ الإسلامي للمساجد لوجدنا أن أول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قباء النبوي الشريف ثم مساجد الكوفة والبصرة والمسجد الأموي ومسجد القيروان وابن طولون وكثير جدا من أمصار العالم الإسلامي[1].

٢ – المجال التعليمي:

أ – الأربطة:

كانت في بدايتها تستعمل للجند لحراسة الثغور في معظم الدول الإسلامية وبمرور الزمن ومع إقبال الناس على المرابطة، أضافت تلك الأربطة إلى وظيفتها الجهادية العسكرية وظيفة التدريس والتأليف من قبل العلماء والفقهاء المرابطين فيها، وقد حظيت باهتمام المسلمين فكثر الواقفون عليها.

وخلال القرن الثالث والرابع الهجريين ازدهرت الأربطة بسبب ما وقف عليها أهل الخير من الإمداد. فقصدها طلاب العلم من كل صوب لطلب العلم ومما ساعد على ذلك وجود السكن والإعاشة.

ثم أخذ بعض العلماء والمشايخ والفقهاء يقيمون بها فوفد إليها من يتلقى عنهم العلم والفنون المختلفة بها. ولم تكن الربط خاصة بالرجال بل للنساء ففي عام ٦٨٤ هـ، أنشئ رباط السيدة زينب

---

(١) الرفاعي: من روائع حضارتنا. ١٩٧٧م، ١٢٩.

في مصر [1].

ب – الخوانق:

كلمة فارسية الأصل بمعنى البيت وتبنى على هيئة مسجد بدون مئذنة، يحيط بها عدد من الغـــرف، مخصصة لاستقبال الفقراء وعابري السبيل لإقامتهم بها وقد رتب فيها العلمـــاء والمشـــايخ دروســـا في مختلف العلوم وخصوصا القرآن والسنة والفقه الإسلامي.

ج – الزوايا:

أصغر حجما من الخانقاه وتقام على الطرق والأماكن الخالية أو في أحد زوايا المسجد وكان هنـــاك من يقف عليها وعلى مرتاديها من الفقراء وعابري السبيل، ويخصص لها مدرس لتدريس القرآن الكـــريم والعلوم الشرعية المختلفة.

ذ – الخلوة:

سميت بذلك لأن المعلم يخلو بطلابه. وكان يدرس بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعلـــوم الشريعة المختلفة. ويكثر استخدامها في الدول الإسلامية في إفريقيا، وخاصة السودان الذي أنشئت فيها منذ القرن التاسع الهجري وما تزال قائمة حتى الآن [2].

هـ – الكتاتيب الموقوفة:

الكتاتيب هي المؤسسة التي تعني بتعليم المبتدئين من الصبيان. والقرآن الكريم والقـــراءة والكتابـــة ومبادئ علوم الدين. ولما كان تعليم الأولاد يعد أمرا شرعيا وواجبا دينيا تقع مسؤولية القيام به علـــى عاتق الآباء.

تولى أولياء الأمور والمحسنون من المسلمون أمر إنشاء الكتاتيب والإنفاق عليها وشـــارك في هـــذا الفضل المعلمون الذين كانوا يقومون بمهنة التدريس احتسابا، وخاصة في العهد الأول للإسلام.

ثم انتشرت الكتاتيب العامة الموقوفة بعد ذلك عبر العصور حتى أصبح الكتاب في بلاد ما وراء النهر

---

(١) معروف: أصالة حضارتنا العربية. ١٩٧٥م،٣٥١.

(٢) معروف: مصدر سابق. ١٩٧٥م،٤٦٥.

يضم الأطفال اليتامى والفقراء والمساكين وكان كتّاب الضحاك بن مزاحم عام ١٠٥هـ يضم على أكثر من ثلاثة آلاف طفل. كما أصبحت بالشام كتاتيب موقوفة لتعليم أبناء المسلمين حول الجامع الأموي بدمشق. ثم تعاقب بعد ذلك انتشار الكتاتيب في مصر في عهد المماليك ثم الدولة العثمانية وخصوصاً الكتاتيب التي أقامتها في مكة المكرمة والمدينة المنورة [١]، حتى جاء عهد الملك عبدالعزيز فتم الاستغناء عنها بالمدارس النظامية المجانية.

و – المدارس الوقفية:

ظهرت المدارس نتيجة للنمو العلمي ومواكبة متطلبات العصر وبصفة عامة للوقوف أمام التيارات الفكرية والإلحادية والعقيدة المنحرفة.

والمدارس عبارة عن مؤسسات تعليمية مستقلة اختير للتدريس فيها العلماء الأكفاء وطلابها متفرغون ووقفت لهم المصروفات والإعاشة والإنفاق فضلاً عن الدراسة والعلاج. ومن ضمن أشهر المدارس:

١ – المدرسة النظامية التي أسسها الوزير نظام الملك عام ٤٥٩هـ في بغداد.

٢ – المدرسة النورية التي أسسها نور الدين زنكي بالشام [٢].

كما أنتشرت المدارس الموقوفة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ويأتي الحديث عن المدارس الوقفية في المدينة النبوية في الفصل الثالث.

٣ – المجال الثقافي (المكتبات):

المكتبات وسيلة لنشر الثقافة والعلوم المختلفة، وقد عرفت المكتبات عبر العصور بأسماء عديدة مثل: خزانة الكتب – بيت الحكمة – دار العلم – دار الكتب – دور الحكمة

وبعضها كان في المساجد والمدارس والمستشفيات [٣]. فالمكتبات انتشرت في الأمصار المختلفة

---

(١) معروف: مصدر سابق. ١٩٧٥م، ٢٣١.

(٢) رضا: أحكام الوقف. ١٣٥٧هـ، ٣٤.

(٣) الحموي: معجم الأدباء. ١٩٠٨م، ٤٦٧/٥.

وخصوصاً في العراق والشام ومصر.

٤ – المجال الصحي (البيمارستانات)

كلمة فارسية معناها المستشفى وهي أماكن للعلاج ودراسة الطب للمسلمين. ولقد كانت خيمة الرسول ﷺ في غزوة أحد والخندق أول مكان لعلاج المصابين وكانت رفيدة ﷺ قائمة بخدمة المصابين ومن بينهم سعد بن معاذ ﷺ.

ثم توالى انتشار مثل هذه المستشفيات عبر العصور الإسلامية. من بداية عهد الوليد بن عبدالملك عام ٨٨هـ حتى عصرنا الحاضر [١].

٥ – المجال الاجتماعي:

قد نشط الوقف في الإسلام حتى سد حاجة المجتمع الاجتماعية التي تحتاج إليها مختلف فئات المجتمع ومن هذه:

أ – وقف لختان الأولاد اليتامى.

ب – وقف لرعاية الغرباء.

ج – الأوقاف لتزويج الفقيرات والمكفوفين والمعوزين.

د – وقف للقرض بدون فائدة.

هـ – وقف السبل والآبار.

فالوقف في الإسلام اسهم في تقديم الخدمات التي تحتاجها المجتمعات الإسلامية وقد اجتهد المسلمون في تلمس الاحتياجات وسد الثغرات في الحياة الاجتماعية في المجتمعات المسلمة.

للوقف في الإسلام مكانة في التنمية والتطوير، كما يمتاز بالشمولية والحكمة والتوازن. فالإسلام وضع أصولاً وقواعد رئيسية لتنظيم الحياة الاقتصادية بين الأفراد والجماعات، وهي أصول تقوم على العدل والبعد عن المخادعة وأكل أموال الناس بالباطل خلافاً للمفهوم عند غير المسلمين.

---

(١) معروف: مصدر سابق. ١٩٧٥م، ٣٤٣.

ويمكن تلخيص أهل آثار الوقف فيما يلي:

١ – الإسهام في حفظ الأصول المحبسة من الاندثار.

٢ – حفظ أجزاء من أعيان الأموال لنفع الأجيال القادمة.

٣ – نفع المستحقين بإعانتهم على تلبية حاجاتهم.

وخلاصة القول أن الوقف منهج متكامل دينياً وتعليمياً واجتماعياً واقتصادياً انفرد الإسلام بتشريعه والحث عليه لذا نجد معظم الأوقاف الخيرية اهتمت بتعليم الإنسان المسلم من خلال دور العلم عبر القرون.

وفي الفصل التالي سوف تخصص الحديث عن المدارس الوقفية في المدينة النبوية.